نشأة الاستشراق وعلاقته بالكنيسة

نشأ الاستشراق أول مرة في أحضان الكنيسة خدمة للهدف الاستراتيجي الذي حدده بطرس المحترم رئيس رهبان دير Cluny في إسبانيا، المتمثل في دراسة الإسلام من أجل دحضه وإبطاله. وبطرس المحترم هذا قد درس في الأندلس وأشرف على ترجمة القرآن الكريم – لأول مرة – إلى اللغة اللاتينية، تلك الترجمة التي أنجزت في إسبانيا عام 1143 [1].

وقد كان من أبرز المتحمسين الذين دعوا إلى تعلم لغة المسلمين بغرض تنصيرهم Roger Bacon – 1293، فقد كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع العالم المسيحي في الشرق، ولبلوغ هذا الهدف لابد من توافر شروط ثلاثة هي:

1 – معرفة اللغات الإسلامية.

2 – دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها عن بعض. (دراسة الأديان)

3 – دراسة الحجج المضادة حتى يكمن دحضها.

لقد شارك Bacon في طموحاته هذه 1316 – R. Lull، الذي كانت له جهود كبيرة أثمرت إنشاء كراسي خمسة لتدريس اللغة العربية في جامعات أوروبية، وكان الهدف من هذه الجهود هدفًا تنصيريًّا خالصًا. وقد أقر مجمع فيينا الكنسي عام 1312 أفكار R.Lull ومن قبله Bacon بشأن وجوب تدريس اللغات الإسلامية في الغرب، وتمت بموجب هذا القرار الكنسي الموافقة على تعليم اللغة العربية في

(1) رودي بارت: الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية، ص9، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة 1967.

جامعات باريس وأوكسفورد وبولونيا وسلامنكا بالإضافة إلى الجامعة البابوية.... وقد قدّر لـ R.Lull أن يعيش حتى يرى حلمه يتحقق، وكان يعتقد أن الوقت قد حان لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير، وبذلك تزول العقبة الكبرى التي تحول دون تحويل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية[1].

وبرغم الاجتهادات العديدة الرامية إلى تحديد بداية نشأة الاستشراق، فإني أرى أنه قد بدأ بداية حقيقية منظمة بعد صدور قرار مجمع فيينا سنة 1312، وقد توسعت أوروبا- بعد ذلك- في فتح أقسام جديدة وإنشاء كراسي أستاذية في عدد من الجامعات: ففي سنة 1587 بدأ تدريس اللغة العربية بصورة منتظمة في College de France في باريس، وفي سنة 1613 في جامعة لايدن بهولندا، وفي كامبردج سنة 1639، وأنشئ كرسي أستاذية للعربية والدراسات الإسلامية في أوكسفورد سنة 1634. ويرى الدكتور ألبرت حوراني أنه منذ ذلك الوقت بدأت دراسات مهمة ومكثفة للمصادر العربية[2]، ثم توسعت أوروبا في دراسة الإسلام والمسلمين توسعًا كبيرًا في عصر الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة كما سنذكر فيما بعد.

وننقل هنا عن المستشرق الإنجليزي A.J.Arbarry ما جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء إلى المسؤولين في جامعة كامبريدج والتي سوغوا بها طلبهم إنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية بالجامعة: «يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الشرق، وتوسيع حدود الكنيسة في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة»[3].

(1) المستشرق الألماني يوهان فوك: «الدراسات العربية في أوروبا» عن كتاب الاستشراق للدكتور زقزوق.

(2) A.Hurani, Islam In European Thought, PP. 12 - 13.

(3) A.J.Arbarry, The Cambridge school for Arabic, P.8, 1948.

الاستشراق في الحقبة الأمريكية :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تحول مركز الثقل وقيادة العالم من أوروبا إلى أمريكا، فيمّم كثير من المستشرقين الأوروبيين وجوههم شطر الولايات المتحدة، وبهذا تكون الحركة الاستشراقية قد دخلت طورًا جديدًا ومعاصرًا.

خططت الولايات المتحدة لدورها الاستعماري الجديد في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ووظفت الاستشراق ومراكز البحوث، ورسمت لذلك ما أطلقت لمليه سياسة العلاقات الثقافية Cultural Relations Policy، وقد أفصح Mortimer Graves عن طبيعة هذه السياسة قائلًا: إن العملية الهائلة لتجميع المطبوعات المتميزة في لغات الشرق الصادرة منذ سنة 1900 وحتى اليوم 1950 وفحصها إجراء يتعلق بالأمن القومي الأمريكي، وهو من أجل فهم أمريكي أفضل للقوى التي تنافس الفكرة الأمريكية، وأهم هذه القوة المناوئة لأمريكا قوتان: الشيوعية والإسلام. وهذه عبارته:

Was the need for much better American understanding of the forces which are contending with the American ideas for acceptance by the near east. The principals of these are ،of course، communism and Islam[1].

وهكذا فقد تعاظم الاهتمام بدراسة الإسلام في الجامعات الأمريكية ومراكز البحوث، ولقد هاجر – كما أشرنا – بعض كبار المستشرقين من أوروبا إلى أمريكا ومن بينهم McDonald الذي تعلم على يد نولديكا وفليشر وهاجر Gibb إلى جامعة هارفارد، وكذلك المستشرق المعروف Bernard Lewis. وأخذ الاستشراق في المرحلة الأمريكية الراهنة طابعًا عامًّا يتمثل في التحرش الثقافي مع القوى المناوئة

(1) M.Graves، A cultural relations policy in the Near East، "The Near East and the Great Powers"، ED.Frye، pp.76 - 78.

للفكرة الأمريكية على حد تعبير إدوارد سعيد[1].

وتذكر الباحثة الأمريكية المعاصرة مارجريت ماركس بصراحة: أن هذه الأقسام وغيرها لا تزال تقوم بنفس تلك الوظائف حتى الوقت الحاضر... تقول «إن المستشرقين العلماء والسياسيين الغربيين الدهاة واعون جيدًا لهذه الحقائق، وكذلك فإن الأقسام المتخصصة في الجامعات والمراكز العلمية المنتشرة في أوروبا وأمريكا والمتخصصة في دراسة الإسلام إنما تقوم بذلك من أجل تحقيق غاية واحدة هي: التمكن من العدو لتدميره.؟ وتلك المعاهد ومراكز البحوث مشغولة اليوم بتكوين أتباع للغرب في قطر إسلامي تلو الآخر، وهدفهم من وراء ذلك إجهاض القضية الإسلامية من داخلها وإحباط أي محاولة لبعث إسلامي حقيقي» [2].

❊❊❊

(1) E.Said, Orientalism, New York, 1979.

(2) Islam and Orientalism, pp.16 - 17,1981, Anarkali - Pakistan

Obeikandl.com